الاستغراب والوحي

أ. د. بهجة كامل عبد اللطيف
كلية الآداب – جامعة بغداد

إذا كان الاستشراق هو طلب علوم الشرق وآدابه . والمستشرقون هم قوم من غير الشرقيين أو هم الغربيون الذين تخصصوا في دراسة الشرق من كافة جوانبه، علومه، تاريخه، أديانه، شعوبه ،لغاته وآدابه ... لأهداف مختلفة ودوافع شى[١]. وإذا كانت الأراء حول نشاة الاستشراق وبدايته ، محل خلاف بين الباحثين والدارسين فانه يمكننا القول بدون تردد أن ظهور الاستشراق لم يتأخر عن القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إذ كان النشاط العلمي للمسلمين في الأندلس أبان فتحهم لها مصدر ولادة الاستشراق وسبب انطلاقه[٢]. فالاستشراق قد ظهر إلى الوجود منذ ذلك التاريخ القديم إن لم يكن قبله مع أول إحتكاك للمسلمين بالجيوش البيزنطية ،ومع هذا فإن المصطلح نفسه لم يظهر في أوروبا إلا في القرن العاشر الهجري (السابع عشر الميلادي) [٣] .

ثم أخذت مسيرة الاستشراق تتواصل عبر القرون والأجيال ،تهيمن عليه تلك الروح العدائية البغيضة للإسلام وأهله ،غير أنها تخف حدتها لدى بعض المستشرقين، ويخفت صوتها في بعض الاحيان ، لكنها لا تلبث تطل برأسها معلنة وجودها ،ولم يسلم منها إلا طائفة قليلة ولم يفت اليهود أن يلحقوا بالمسيرة الاستشراقية ، فيتعمق بهم ويتأصل تيار العداء للإسلام ، ذلك التيار الفاحش الذي لا يزال فاعلاً ومحتداً أفقياً ورأسياً [٤] وخير شاهد على عنصريتهم وكراهيتهم للعرب والمسلمين تلك المجازر الوحشية التي وقعت على أرض فلسطين من يوم الجمعة ١٥محوم ١٤٢٧هـ /٥ نيسان / أبريل ٢٠٠٢م وهي مستمرة حق كتابة هذه الورقة على ارض فلسطين كما هي على ارض العراق بعد سقوط النظام الدكتاتوري نيسان ٢٠٠٣م.

وإذا كان الاستشراق دراسة الشرق عموما والذي يقصد به جغرافياً كل ما يقع شرق أوروبا أو في مشرق الشمس . فان مصطلح الاستغراب يقصد به من الناحية العلمية دراسة حياة العرب وما يتعلق بهم من حضارة وآداب ولغة وتاريخ وفلسفات وأديان ، أما المستعرب فهو عالم ثقة في كل ما يتصل بالعرب وبلاد العرب أو باللغة العربية والأدب العربي [٥] أو

أو تنقل الألفاظ الأفرنجية إلى الحروف العربية [١٦] وضاعت الفصحى وأزدوجت مع العامية ولم يعد أحد قادرا الحديث بلغة عربية سليمة دون لحن . وأصبحنا نعرف بلهجاتنا العامية وليس بغلتنا العربية الفصحى إلا في قراءة القرآن الكريم وهو أضعف الايمان .

أما مدننا فقد تحولت إلى خليط من أساليب العمارة لا هوية لها فلا هي تقليدية حافظت على طابعها القديم والموروث الحضاري الذي يتفق مع البيئة التي وجدت فيها ولا هي ذات طابع معاصر يتمشى مع الحداثة والتغيرات التي حصلت عليها ومن مظاهر الاستلاب الثقافي والسياسي والتأثر بالغرب وحضارته الهجرة إلى الغرب التي أصبحت إحدى البواعث الدفينة لدى أغلبية الناس ،وانفك الارتباط بالأرض الذي كان السمة الغالبة في الشخصية الوطنية ووقف الناس أمام أبواب السفارات كليا للهجرة، وضاع إحترام المواطنين. كما أصبح الإستيراد هو هم التاجر والمستهلك وتحول الاقتصاد الوطني إلى اقتصاد تابع [١٧] ومما يؤسف له حقا تحول مساحة واسعة من ثقافتنا المعاصرة إلى وكالات حضارية للغير ،وامتداد لمذاهب غربية بمختلف صورها وأشكالها حتى لم يعد أحد قادرا على أن يكون مفكرا أو عالما أو فنانا إن لم يكن له مذهب ينتسب إليه ويدافع عنه وعلى هذا الأساس تفرقنا شيعا وأحزابا ،كما تفرق القدماء من ذواتهم ، ولكن فرقتنا هذه المرة لم تكن موقفاً من الذات بل تبعية للآخر. وأصبح لكل فرقة مؤيدوها وأنصارها وحلت لغة العنف والسطوة محل لغة الحوار والجدال العلميين [١٨]. السؤال الآن كيف يستطيع المستغرب أو علم الاستغراب الوقوف بوجه الهجمة الشرسة التي تعرض لها عالمنا العربي والإسلامي منذ اقدم العصور وإزدادت مع مرور العصور والأجيال ونجدها على أشدها في عالمنا المعاصر أن الجواب على هذا الأستفسار يتطلب الرجوع إلى الجذور وإستنباط الدروس والعبر من تاريخنا العربي الإسلامي وسنجد فيها الكثير من الوسائل والأدوات والأساليب التي تساعدنا على الوقوف بوجه الآخر واحتوائه وتحويلة من دارس إلى مدروس ومنها على سبيل المثال :

١- القرآن الكريم : دستور المسلمين وجامع كلمتهم وموضح منهاجهم في الحياة الدنيا وسعادة المؤمن في الحياة الآخرة والعقاب الذي يلحق بمخالفه (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (الزلزلة : ٧-٨) . (وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (الأنعام:٣ه ا) وفيه من الآيات التي تحرم موالاة غير المسلمين والتقرب إلى أعدائهم ، والتودد إليهم ومصالحتهم ، لأن غاية الأعداء القضاء على هويتنا ، لكي تكون السيادة للغرب ومن ناصرهم من اليهود

واستملاك أدوات تقدمه، وذلك من أجل كسر علاقة الاستعباد التي تربط الشرق بالغرب وإعادة الإنسانية المسلوبة إلى الغربي والشرقي كليهما . وقد انعكس هذا الاختلاف (بين الاستشراق والاستغراب) على طبيعة الفئات التي تحمل لوائيهما .

ففيما يحمل لواء الاستشراق مثقفو الأرستقراطية المالية في الغرب ومنظموها فان المخولين لحمل لواء الاستغراب هم مثقفو حركات النهوض والتحرر الوطني في الشرق ومنظموها [١٠]

ويرى د.حسن حنفي أن علم الاستغراب في مقابل الاستشراق ضرورة ملحة في عصر الثورة المضادة بعد أن عاد الغرب بهجمته الاستعمارية الثانية بعد هجمته الاستعماريةالأولى، اثر حركات التحرر الوطني [١١] التي فشلت في تحقيق أهدافها في التحرر الاقتصادي والثقافي والسياسي، فالاستغراب يهدف إذن إلى إقالة الثورات الحديثة من عثراتها، واستكمال عصر التحرر من الاستعمار، والانتقال من التحرر العسكري إلى التحرر الاقتصادي والسياسي والثقافي ، وقبل كل شى ء التحرر الحضاري . فطالما الغرب مهيمن على عقلية كل منا باعتبار مصدر للمعرفة وعنواناً للتقدم والإزدهار وكإطار مرجعي يحال إليه كل شيء للفهم والتقييم فسنظل قاصرين في حاجة إلى أوصياء [١٢] .

فالاستغراب يهدف أيضاً إلى رد ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية بعد أن إنتشر خارج حدوده أبان المد الاستعماري من خلال سيطرته على وسائل الإعلام وإمتلاكه الأدوات الأخرى التي مكنته من بسط سيطرته ونفوذه على ثقافات العالم وخاصة على العالم العربي الإسلامي وجعل ثقافته هي الثقافة العالمية وهي الثقافة التي على كل شعب أن يتبناها حتى ينتقل من التقليد إلى الحداثة فمهمة الاستغراب القضاء على إسطورة الثقافة العالمية التي يتوحد بها الغرب ويجعلها مرادفة لثقافته [١٣] .

ومما يهدف له الاستغراب تصحيح المفاهيم المستقرة والتي تكشف عن المركزية الاوربية من أجل إعادة كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية وحياداً وأكثر عدلا بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات البشرية في تكوين وتقدم وإزدهار الحضارة المعاصرة [١٤] وإنهاء أسطورة كون الغرب ممثلاً للانسانية جمعاء وأوروبا مركز الثقل فيه [١٥] وكان من مظاهر الانبهار بالحضارة الأوربية ذلك الإنفتاح الإقتصادي وما رافقه من إنفتاح لغوي على الألفاظ الأجنبية فأصبحت كل كلمة عربية تتجاوز عقدة نقصها بإلحاقها بكلمة غربية

٤- الإعتماد على موقف الحركة الإسلامية الآن من الغرب، في هذا التمايز بين الأنا والآخر، وبين الإيمان والكفر وبين الإسلام والجاهلية ،وبين الله والطاغوت. وتحويل علاقة العدواة والبغضاء والتصادم والتناحر إلى علاقة عالم بمعلوم، ذات بموضوع، دارس بمدروس ، راء بمرئي ، ملاحظ بملاحظ [٢١]

٥ - الرجوع إلى المواقف العربية الإسلامية الأصيلة وإعتمادها كأساس للوقوف بوجه الإستبداد والظلم والطغيان ومحاولات التركيع والاذلال التي ينتهجها الغرب مع الدول والشعوب العربية والإسلامية . فالظروف التي رافقت الغزو الصليبي ومن ثم المغولي والتتري والإكتساح الأوربي للأندلس هي ذات الظروف التي يمر بما عالنا العربي والإسلامي اليوم . فالغزو القديم والذي حاول القضاء على الإرث الحضاري والتقدم العلمي الذي احرزه العرب المسلمون في ميدان المعرفة هو ذاته الذي يحاول اليوم إبقاء العرب على تجزأتهم وفرقتهم وتناحرهم وإبعادهم على جذورهم لغرض فرض الهيمنة وإستلاب خيراتهم وثرواتهم [٢٢].

وعلى هذا الأساس فعلم الاستغراب ضرورة ملحة في عصرنا الحاضر بعد أن عادت أوروبا والولايات المتحدة بهجمتها للسيطرة والاستعباد إثر حركات التحرر الوطني. ووجدت الاستشراق نظاماً معقداً في المؤسسات والأجهزة والممارسات الفكرية بغية إستعماله أداة في تنظيم عملية استعباد الشرق وتبريرها وطبيعها وترسيخ علاقة الهيمنة الاستعمارية بين الطرفين ، فلم لا يلجأ الشرق إلى إبتكار الاستغراب جهازاً نهضوياً وسلسلة من المعاناة النهضوية من أجل كسر هذه العلاقة وتنظيم عملية تحرير الشرق من عبودية الغرب

بيد أن العلاقة القائمة بين الإستشراق والاستغراب ليست علاقة تماثل ، وإنما هي علاقة إختلاف جذري فالوظيفة الأساسية للإستشراق هي التزوير التاريخي وخلق صورة ملتوية مشوهة للشرق تنسجم ونية الغرب في استعباد الشرق والسيطرة عليه وإبقاؤه متفرقاً متخلفاً لإستغلاله ونهب ثرواته وذلك من أجل تسخيرها في قهر الشرق وتحطيم إنسانيته وتحويله من ثم إلى ظل، مجرد ظل للصورة المشوهة [٢٣] أما الاستغراب فتكمن وظيفته في إستنطاق الغرب بمعاناته والكشف عن حقيقته، واستملاك أدوات تقدمه، وذلك من أجل كسر علاقة الاستعباد التي تربط الشرق بالغرب ، وإعادة الإنسانية المسلوبه الى الغربي والشرقي كليهما فالحقيقة هي أقوى سلاح في يدي المستضعف مقابل جبروت السيد وبطشه [٢٤].

والملاحدة. (ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم ..) (البقرة:١٢٠) وقوله (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم...) (المائدة :٥١) وكذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردونكم بعد إيمانكم كافرين) (آل عمران:١٠٠) وأعمق تعبير وأدقه عن التضاد بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب قوله تعالى في سورة الكافرين (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ...) إن الإعتماد على القرآن الكريم والأخذ بما جاء من آيات بينات هو طريق المؤمنين الصادقين وهو الطريق الذي يقود إلى النجاة وفرض الإحترام على الغير لأنه مصدر سلطة وثقة بالنفس وبالمستقبل وتوجيه في وعي الناس وإدراكهم لحقيقة المنهج الرباني الذي إختارهم اللة للتصديق به والعمل وفق منهجه وإبلاغه للناس كافة قال تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة) (البقرة : ٨٢) ٠(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون) (الأنفال :٢٠) (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) (الحجرات : ١٥) .

٢- رفض التقليد والتبعية في السلوك الفردي وفي العقائد من أي فرد كان وإثبات المسؤولية الفردية، فإيمان المقلد لا يجوز، والإعتذار بالتقليد غير مقبول يوم الحساب. والتقليد سمة سلبية في المجتمع لأن المجتمع الاسلامي سماته الحيوية والنشاط والديمومة والتفاؤل[١٩] (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) (الرعد : ٢٣) .. فالسعي مطلوب في الحياة الدنيا والتجديد والبناء هدف المسلم وتنفيذاً لأمر الله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمون) (التوبة :١٠٥) وقد نبه القرآن الكريم إلى أولئك الذين أعرضوا عن ذكر الله واتخذوا غير سبيل المؤمنين (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا وليتى لم أتخذ فلاناً خليلا لقد أظلنى عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا) (الفرقان : ٢٧-٢٨) .

٣- نموذج الفكر الإسلامي القديم الذي استطاع تمثل الحضارات السابقة دون أن يفقد هويته وقام بنقدها ، مطورا لها ومكملا لانجازاتها فظل إسلاميا معاصرا ،ذاتيا قادرا على التعامل مع الغير وممثلا للحضارات الانسانية كلها [٢٠] .

والمسلمون على تصويبها وتقديم الصورة الصحيحة استناداً على الموروث العقائدي والحضاري موقفهم من الرسالة الإسلامية كدين سماوي خص الله عز وجل العرب بها ومن خلالهم الإنسانية جمعاء لان الإسلام دين الجميع (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء : ١٠٧) وقوله تعالى (يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات : ١٣) ومن أجل إخراج الناس من الظمات إلى النور ، ومن العبودية والاستغلال ، إلى نور الحرية والأيمان ، ومن التسلط والفردية إلى الشورى ونور الهدى [٢٩] . ويقف في مقدمة تلك المفاهيم الخاطئة الآراء والتفسرات المغالطات التي نسجوها حول الوحي .

فالوحي عند علماء المسلمين هو أعلام الله تعالى أنبياءه أما بكتاب أو برسالة ملك في المنام ، أو الهام بأن ينفث في روع النبي صلى الله عليه وسلم ما يريد الله عز وجل إبلاغه له [٣٠] بطرق لا يستطيع البشر اكتناه أسرارها ، لأنها ليست خاضعة لمعارف البشر العادية [٣١] ونحن كمسلمين نعتقد الوحي الإلهي،ونسلم به ء وبأساليبه ونؤمن كذلك بالاتصالات الروحية بالملكوت الاعلى، واستمداد معارفنا من الله عن طريق ليست مألوفة لدينا [٣٢] ولكننا لا نستطيع إثبات هذه الأمور باستخدام العقل والحواس لوحدهما وإنما يجب علينا التسليم بها باعتبارها مسائل إعتقادية ، غيبية ، وليست خاضعة لمناهج المستشرقين المتصفة معظمها بالمادية والتي لا تعترف بالقضايا الغيبية [٣٣].

اتفق معظم المفسرين [٣٤] برواية عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان أول ما ابتدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجئ مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، فكان في غار حراء يعبد فيه الليالي ، حتى فاجاه الحق فأتاه جبريل بالرسالة ، وإقراءه أول آية لسورة العلق [٣٥] ويتميز الوحي في اعتقاد المسلمين بنزوله على الصادقين من عباده . حيث توجد لهم في حالة الوحي غيبة عن الحاضرين ، واغماء غطيط تظهر للآخرين وليست حقيقة لمن ينزل عليهم الوحي، لأنهم في هذه الحالة مستغرقون في الملكوت الإلهي بإدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر العادية ، ثم ينزل الوحي بعدئذ اما يروي من الكلام او يتمثل لمن ينزل علية على هيئة شخص يخاطبة بما هو مكلف به لتبليغه له[٣٦] وقد ذهب المستشرقون مذاهب شتى في تفسر الوحي الإلهي المنزل على النبي العربي صلى الله عليه وسلم ولكنهم أجمعوا على إنكاره ، وأتوا بتفسيرات ، وتعليلات وتأويلات حاولوا من خلالها تفسير التصرفات التي تنتاب الرسول صلى الله عليه وسلم أبان نزول الوحي عليه ، علماً إن إنكارهم للوحي

وقد عرض الأستاذ حسن حنفي النتائج التي ستحقق فيما إذا تم تأسيس علم الاستغراب وتناوله فريق من الباحثين على عدة اجيال بصدق وعزم وأمانة وتحول الى تيار عام في بلاد العرب والمسلمين ، ليساهم في خلق الثقافة الوطنية القائمة على الاسس التي ذكرت أعلاه نقتبس منها [٢٥] :

١- تكوين الباحثين الوطنيين الذين يدرسون حضارتهم الخاصة من منظور وطني، قائم على الايمان بالامة وبرسالتها السماوية، وحضارة الغير بطريقة اكثر حياداً وانصافاً مما فعل مع غيره. وبالتالي تنشأ العلوم الوطنية، وتتكون الثقافة الوطنية ويتأسس التاريخ الوطني، وينتهي الفصام في الثقافة والسياسة وبين العلم والوطن وبين الباحث والمواطن.

علم الاستغراب أذن هو تحليل الثقافة الوطنية ووصف تفاعل الجبهات الثلاثة فيها التراث القديم ، والتراث الغربي والواقع المباشر الذي تبدو النصوص التراثية فية متداخلة مع أزمات العصر وتحدياته سلباً اكثر منها إيجاباً ، وعائقاً أكثر منها دافعاً [٢٦] .

٢- وقد ينتج من علم الاستغراب أن تشهد الإنسانية عصراً جديداً يختفي منه داء العنصرية الدفين الذي نشأ أبان تكون الوعي الأوربي، حتى أصبح جزء من بنيته، وبالتالي تختفي عدوانية الشعوب على بعضها البعض بعد أن عانت الإنسانية من جراء حربين أوروبيتين وقد ورثت الصهيونية هذا الداء الدفين[٢٧]. وما زالت تمارس أساليب الإستعمار القديم والنازية الفاشية الحديثة بدعم ومساندة من الولايات المتحدة الأمريكية وسكوت عالمي مطبق على مايجري في أرض فلسطين من إنتهاك لحقوق الإنسان من ظلم وقتل وتشريد ونهب للأموال والثروات وهدم للبنى التحتية غزو لم تشهد له مثيل الإنسانية من قبل .

٣- انتهاء الاستشراق وتحول حضارات الشرق من موضوع ذات ، ومن أحجار إلى شعوب، وتصحيح الأحكام التي ألقاها الوعي الأوروبي في عنفوان يقظته على حضارات الشرق في عمق نومها وخمولها... وقد آن الأوان أن يتحول رفض الاستشراق من مستوى الخطابة والعداء الساذج إلى مستوى العلم الدقيق. كما يحول من مرحلة تصحيح الأحكام الخاطئة السابقة الق أقامها الاسشراق عن ظواهره إلى أخذ هذه الأحكام ذاتها واعتبارها دوال تكشف عن عقليه الحاكم ،تكوينا وبنيه [٢٨] .

ويأتي في مقدمة المفاهيم الخاطئة التي كونها المستشرقون والتي يجب أن يعمل العرب

عبد من عباده بدين وشريعة ولهذا أنكرتم كون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلهية، فإن هذا ينسحب على رسالة موسى وعيسى عليهما السلام، وعليه فليست اليهودية ولا النصرانية بشيء ، وينبغي عليكم أن تنكروا على موسى وعيسى عليهما السلام ما تنكرونه على محمد صلى الله عليه وسلم من أن يكون دينه إلهياً وقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر عن كنتم لا تعلمون) (النحل :٤٣)، وإما إن كنتم تؤمنون بمبدأ الوحي، وتعتقدون أن الله تعالى يمكن أن يوحي إلى من يشاء من عباده بالدين والشرائع ، ويكلفه بالرسالة والنبوة كما أوحى إلى موسى وعيسى عليهما السلام ، فما المانع من أن يكون ما جاء به محمد العربي صلى الله عليه وسلم وحياً من عند الله تعالى ، ما الذي يمنع من أن يرسل الله رسولاً عربياً بالرسالة الخاتمة والشريعة الإلهية التامة الكاملة ؟ وقد أكد ذلك في مُحكم كتابه العزيز بقوله : (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير) (الحج :٧٥) ولماذا تجيزون إن يوحي الله برسالة إلى نوح وإبراهيم وداود وسليمان وأيوب ، وموسى وعيسى وتمنعون آن يوحي الله برسالة الإسلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؟؟. ورسالته جاءت خاتمة الحلقات في سلسلة الوحي الإلهي إلى الخليقة ، الذي إبتدأ منذ آدم عليه السلام ، وقد بشر الانبياء السابقون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى : (وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) (الصف : ٦) وفي الكتاب المقدس الذي يؤمن اليهود بالعهد القديم منه ، ويؤمن النصارى بعهديه القديم والجديد ، بشارات عديدة برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كشف عنها العلماء [٤٣] .

ونقوم الدليل على الذين يجعلون من الوحي الإلهي نوعاً من أنواع الصرع الذي يصيب الرسرل صلى الله عليه وسلم لأن الحالة التي تعتري الرسول صلى الله عليه وسلم في أثناء تلقيه الوحي تختلف عن المصابين به فعلاً وآية ذلك أن من يصاب بالصرع لا يذكر إطلاقاً ما مر به إبانها ، بل إنه ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسيانا تاما، ولا يذكر شيئاً مما صنع أو حل به خلالها ، ذلك أن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطيل [٤٤] وهذه الأعراض التي تصيب المرضى من الصرع لا تنطبق وما يعتري الرسول صلى الله عليه وسلم من حالات نفسية وفسيولوجية في أثناء نزول الوحي عليه ، لأنه كان يذكر بدقة بالغة ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك على اصحابه كما إن نزول الوحي لم يكن مقترناً دائماً بالغيبوبة الجسمية مع تنبه الإدراك الروحي غاية التنبيه ، بل إنه كثيراً ما ينزل الوحي والنبي صلى الله

قادهم بداهة إلى إنكار المصدر الإلهى للقرآن الكريم الذي اجمعوا أيضاً على بشريته[٣٧] ومن أمثلة إفتراءات المستشرقين وانحرافهم عن الحقيقة الإلهية ما أورده جوستاف لوبون بأن التصرفات التي تعتري الرسول صلى الله عليه وسلم، أبان نزول الوحي عليه ما هي إلا إصابته بالصرع الذي ينتابه في هذه اللحظات فيعتريه إحتقان فغطيط فغثيان . ويرى أنه يجب إعتبار محمد صلى الله عليه وسلم، (حاشاه) من فصيلة المهووسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات[٣٨] وقد ذهب مونتجمري وات إلى توكيد صدق النبي صلى الله عليه وسلم وإخلاصه في كل ما أخبر به من مجيء الوحي إليه. كما رفض جميع الأراء الغربية التي عزت ظاهرة الوحي المحمدي إلى الصرع والهلوسة أو الجنون ودافع دفاعا مجيدا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصفه بالصادق الأمين أيضا[٣٩] . ولكن عاد عندما عالج مسألة نبوته - أي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه أكد أن هناك بعض الأشخاص الموهوبين كالفنانين والشعراء والكتاب ممن يتمتعون - "خيال خلاق " اخرجوا للبشرية روايات رائعة وهناك العديد من المؤلفات الناجمة عن الخيال الخلاق المعروفة عالمياً ولكن هذه المؤلفات والآثار ليست خيالية لأنها تعالج أموراً حقيقية ولكنها تستخدم رؤيا وصوراً لتعبير عما وراء المفاهيم الثقافية الإنسانية[٤٠] ويخلص إلى القول أن لدى محمد صلى الله عليه وسلم خيال خلاق متدفق وإن معظم الأفكار الناجمه عن هذا الخيال صحيحة وعادلة ، ولكن ليست كل الأفكار القرآنية صحيحة وعادلة بل توجد على الأقل نقطة واحدة غير صحيحة ألا وهي إن الوحي أوالخيال الخلاق أسمى من تصرفات الإنسان العادية باعتبارها مصدراً لوقائع تاريخية مجملة [٤١] .

ويعتقد وات أن مصدر الوحي المحمدي هو الخيال الخلاق أو اللاوعي الجماعي الذي هو مصدر كل وحي ديني سواء كان الإسلام أو النصرانية أو اليهودية. وعندما طبق وات هذه النظرية عن الوحي المحمدي إعتقد أن كلمات الوحي كانت لها صلة بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يصير واعياً بها. وهكذا تتلخص أفكار وات في إنكاره للوحي الإلهي وإن مصدر القرآن الكريم هو الخيال الخلاق الذي يتمتع به الرسول مثلما تمتع به بقية البشر الممتازين [٤٢] .

والاستغراب يعمل على تقديم الحجج والبراهين التي ملئت صفحات الكتب والدراسات التي تثبت صحت الوحي الالهي وتقف عند قوله تعال (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) (النساء: ١٦٣) وقوله (ثم أوحينا إليك إن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً) (النحل : ١٢٣) ونقول إن كان المستشرقون ينكرون من حيث المبدأ أن يوحي الله عز جل إلى

هوامش والاحالات :

١- علي بن إبراهيم النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية ، مركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية ،الرياض ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص ١٩-٢٠، اسماعيل علي محمد (دكتور) : الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ط٣، (د.م .د.ت) ص٩-١١؛ ادورد سعيد (دكتور): الاستشراق، المعرفة، السلطة الانشاء ، ترجمة كمال أبو ذيب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣٢٥.

٢- زكريا هاشم زكريا (دكتور) : المستشرقون والإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، ص ١٧،أحمد سمايلوفتش (دكتور) : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي ،القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ٦٧-٦٨.

٣- ساسي سالم الحاج (دكتور) : الظاهرة الاستشراقية واثرها على الدراسات الإسلامية ، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطة، ١٩٩١، ص٤٢-٤٣، جوزيف شاخت وبوزورث: تراث الإسلام ، ط٣ ترجمة د.محمد زهير السمهري وآخرين ، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، ج ١، ص ٧٣، سمايلوفتش أحمد: فلسفة الاستشراق، ص ٢٤، قاسم السامرائي (دكتور): الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م ،ص ٢٢ .

٤- إبراهيم عبد الكريم: الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، دار الجليل، عمان ١٩٩٣م ؛ ادورد سعيد (دكتور) : الثقافة والأمبريالية ،ط ٢، ترجمة كمال أبو ذيب ، دار الأدب ، بيروت ١٩٨٨م .

٥- أنور الجندي : شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ،ص٨٩، النملة علي: الاستشراق في الأدبيات العربية، ص٢٠-٢١؛ السامرائي قاسم (دكتور) : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ص٥٠.

٦- سمايلوفتش ، احمد : فلسفة الاستشراق ، ص ٣٤ ، قارن نذير حمدان : الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين، ط ٢، دار المنارة، جدة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٩م ، ص ١٧٣ ؛ النملة علي : الاستشراق في الأدبيات العربية ، ص ٢١ .

٧- حسن حنفي (دكتور) : مقدمة في علم الاستغراب ، الدار الفنية ، القاهرة ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص٣١؛ هشام غصيب (دكتور): جدل الوعي العلمي ، الجمعية

عليه وسلم في تمام يقظته العادية [٤٥] .

وبناء على ما تقدم فمن أول واجبات الباحثين الوطنيين العمل على إستبعاد صفات الهوس والصرع والمرض النفسي التي إتهم بها المستشرقون النبي صلى الله عليه وسلم في إثناء نزول الوحي عليه . ذلك أن حقائق التاريخ قد أخبرتنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يتصف بهذه الصفات قبل البعثة ، بل إنها تصفه لنا بالعاقل والصادق الأمين وله مكانته في المجتمع المكي[٤٦]. وإنه لم يكن قبل البعثة من أولئك الذين تعتريهم الوساوس، والسلوك الشاذ، والتصرف الغريب ، بل كان بعيدا عن سلوك الكهان وسجعهم ، وتصرفاتهم الغريبة . ولم يكن شاعرا يعتريه شيطان الشعر فيؤثر في قوله وتصرفاته (وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) (الحاقة : ٤١-٤٣) .

كما أن النبي نفسه وصف ظاهرة الوحي المنزل عليه وصفا دقيقا حينما شبهه أحيانا مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليه فينفصم عنه وقد وعى ما قال وأحيانا يتمثل إليه الملك رجلا فيكلمه فيعي ما يقول، وفي كلتا الصورتين كان النبي صلى الله عليه وسلم واعيا وعيا كاملاً بما يوحى إليه. وقد كرر ذلك مرات عديدة ،فاثبت لنفسه الوعي الكامل والإدراك السوي لحالته قبل الوحي وحالته بعد الوحي وحالته في أثناء الوحي (٤٧) وهذا التأكيد ينفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما نسبه إليه المستشرقون من الهلوسة والصرع الذي ينتاب من يصابون به . (قل إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي) (الأعراف :٢٠٣) وقوله أيضا (إن اتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين) (الأحقاف : ٩) إلى غير ذلك من الآيات والبراهين التي ترجع دعاويهم البطالة إلى نحورهم وتوقظ نفوسهم المريضة وتجعل كلمة الحق هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وما أصدق من قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (النجم : ٣-٤)

والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص ٣٢ ؛ النملة ، علي إبراهيم : الاستشراق في الأدبيات العربية ، ص ٨٩ .

١٩- حنفي حسن (دكتور) : مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٢٧-٢٨؛ محسن عبد الحميد (دكتور) : مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها ، الديوان للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٧م .

٢٠- خليل أحمد النظامي " عهود متعددة لأفكار المستشرقين ونظرياتهم " ، الإسلام والمستشرقون تأليف نخبة من العلماء المسلمين ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٩م) ،ص١٠٣-١٠٥، حنفي حسن (دكتور) : مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٢٨، جعيط هشام (دكتور) أزمة الثقافة الإسلامية، ص ٥٧-٥٨ .

٢١ - مجموعة من الباحثين : الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، ط ٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩م ، أنظر كذلك حنفي حسن : مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٢٨ ؛ رسول محمد رسول : الغرب والإسلام ، ص ٢٢ ، ادورد سعيد : الثقافة والأمبريالية ، ص ٣١ فما بعدها .

٢٢ - حنفي حسن : مقدمة في علم الاستغراب ،ص ٢٨-٢٩ ، مجموعة باحثين : العرب والعولمة، ط ٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نيسان ٢٠٠٠ م ؛ رسول محمد رسول : الغرب والإسلام ، ص ٢٢-٢٥ ، غصيب ، هشام (دكتور) : جدل الوعي العلمي ، ص ١٠٣ .

٢٣ - عبد المنعم فؤاد (دكتور) : إفتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) .

٢٤- نواف هايل التكروري : العمليات الإستشهادية في الميزان الفقهي ، ط ٢/مكتبة الأسد دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، غصيب هشام: جدل الوعي العلمي ،ص ١٠١-١٠٢ ؛ نخبة من الباحثين والكتاب: الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، قطر ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، محسن عبد الحميد : قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر ، (د.ن ء د.م) ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ، ص ٨٥ .

٢٥- التفاصيل ينظر مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٥٠-٥٦ ، غصيب هشام : جدل الوعي العلمي ، ص ١٠٠ .

الملكية الأردنية ، عمان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٨١ ؛ سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق ، ص ٣٧ .

٨- حنفي حسن (دكتور) : مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٣٢ ؛ غصيب هشام (دكتور) جدل الوعي العلمي ، ص ٨٢-٨٦ .

٩- جدل الوعي العلمي ، ص ٨٧ ؛ وعن افتراءات المستشرقين ينظر محمد احمد دياب (دكتور) : أضواء على الاستشراق والمستشرقين، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ص ٧٦فما بعدها

١٠ - غصيب هشام (دكتور) : جدل الوعي العلمي ، ص ١٠٢.

١١- مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٣٣.

١٢- حنفي حسن (دكتور) : مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٣٤.

١٣- حنفي حسن : مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٣٦، غصيب هشام : جدل الوعي العلمي، ص١١٠ ؛ سمايلوفتش احمد : فلسفة الاستشراق،ص ٣٥.

١٤- من الأمثلة المغلوطة التي فرضها الغرب على العالم على سبيل المثال ، الحرب العالمية الأولى ، والثانية، الإستكشافات الجغرافية ، تحقيب التاريخ وجعل أوروبا مركزها ... حنفي حسن : مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٤٠-٤١ .

١٥ - حنفي حسن : مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٤٢ ، ٣٣،٣٤،٣٥.

١٦- من أمثلة المفردات الأجنبية المستخدمة (تلفزيون ، راديو ، بايسكل ، كافتريا ، همبركر ، ريست...الخ) .

١٧- دياب محمد أحمد: أضواء على الاستشراق والمستشرقين، ص ٨٦فما بعدها ؛ سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق، ص١١٩، رسول محمد رسول: الغرب والإسلام إستدراج التعالي الغربي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان، ٢٠٠٠م ، ص ١٢فما بعدها .

١٨ - مازن بن صلاح مطبقاني (دكتتور) :الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام ، دار اشبيليا، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص ٢٣ ،رسول محمد وسول : الغرب والإسلام ، ص ١٣ ، هشام جعيط (دكتور) أزمة الثقافة الإسلامية ،دار الطليعة للطباعة

٣٣- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير،الاستشراق ، الاستعمار ،ط٤، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م؛ دياب محمد أحمد (دكتور) أضواء على الاستشراق والمستشرقين ،دار المنار، القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م ، محمود حمدي زقزوق (دكتور) : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، رئاسة المحاكم الشرعية الشؤون الدينية ، دولة قطر ، ١٤٠٤هـ ، كتاب الأمة .

٣٤- محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) : جامع البيان عن تأويل القرآن ، ط ٣، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ ، ج ٣، ص ١٦١-١٦٢ ؛ محمد بن احمد القرطبي ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م : الجامع لأحكام القرآن ،مصر ،١٣٦٩هـ، ج ٢، ص١١٨؛ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م تفسير القرآن العظيم ، ط ٣، مطبعة الاستقامة ،مصر ١٣٧٣هـ ، ج ٧ ، ص٣٢٥-٣٢٦ ؛ العمري أكرم ضياء الدين ، السيرة النبوية الصحيحة ، ج ١، ص ١٢٥ .

٣٥- إبن هشام : السيرة النبوية ،ج ١، ص١٥٥، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم، قال : " فقراتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي ، بن كثير الد مشقي ، السيرة النبوية ، دار إحياء التراث العربي (د.ت) ، ج ١ ، ص٣٨٥ .

٣٦- العمري أكرم ضياء الدين : السيرة النبوية، ج ١، ص١٢٩-١٣٠، الحاج ساسي سالم : الظاهرة الاستشراقية ،ج ١ ، ص٣٥٢؛ فؤاد عبد المنعم : من افتراءات المستشرقين ، ص ١٥٨ .

٣٧- أنور الجندي " المستشرقون والقرآن الكريم "، نخبة من العلماء المسلمين: الإسلام والمستشرقون؛ عمر لطفي العالم :المستشرقون والقرآن، مركز دراسات العالم الإسلامي، ماطا،١٩٩١م ؛عبد العظيم المطعني (دكتور): الإسلام في مواجهة الاستشراق، ط ٢، دار الوفاء للنشر والتوزيع ، المنصورة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

٣٨- ينظر على سبيل المثال : غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ط ٤، ترجمة عادل زعيتري ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ص ١١٤؛ والتفاصيل ينظر حمدان نذير : الرسول في كتابات المستشرقين ، ص ٧٩فما بعدها : الجبري عبد المتعال : السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، ص ٧٧ .

39. Watt Montogmery , W, Muhammad at Macca, Oxford , 1953, P.200 .

٢٦- مقدمة في علم الاستغراب ، ص ٥٥؛ محمد عايد الجابري (دكتور) : مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب ، ط ٢، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ص ٨٥ فما بعدها .

٢٧- الجابري محمد عايد : مسألة الهوية ، ص ١٧٥ .

٢٨- أنظر عن تلك المفاهيم عن سبيل المثال: عفاف صبرة (دكتورة) : المستشرقون ومشكلات الحضارة ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٨٥؛ شوقي أبو خليل (دكتور) : أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس ، ١٩٩٩ ؛ علي بن إبراهيم النملة (دكتور) : الإستشراق والدراسات الإسلامية ، مكتبة التوبة ، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٢٩- عن موقف المستشرقين من الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، ينظر على سبيل المثال :نخبة من العلماء المسلمين : الإسلام والمستشرقون ؛ نذير حمدان : الرسول صلى الله عليه وسلم، في كتابات المستشرقين ، ط٢، دار المنارة ، جدة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ؛ سالم حميش (دكتور) : الإستشراق في افق انداده ، المجلس القومي للثقافة العربية الرباط ، ١٩٩١م ؛ فؤاد عبد المنعم (دكتور) : من إفتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام ، ص ٤٩ .

٣٠- عن الوحي ومعانيه اللغوية والدينية : ينظر محمد بن مكرم بن علي بن احمد المعروف بابن منظور ت ٧١١هـ/١٣١٢م ، لسان العرب أعداد وتصنيف يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت ، (د.ت) مادة وحي.

٣١- عبد المتعال محمد الجبري: السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ٧١، الحاج سالم ساسي الظاهر الاستشراقية ، ج ١ ، ص٣٥١، محمد علي اسماعيل (دكتور)، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل ،ص ١٩٢ فما بعدها ؛ فؤاد عبد المنعم (دكتور) من إفتراءات المستشرقين ، ص ١٥٨ .

٣٢- أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ت ٢١٨هـ/٨٣٣م : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني ، القاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م ، ج ١ ، ص ١٥٣فما بعدها ؛ أكرم ضياء الدين العمري (دكتور) : السيرة النبوية الصحيحة، ط ٥، مكتبة العلوم والحكم المدنية المنورة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ج ١ ، ص ١٢٩ .

40. Watt ,M.W.,Muhammad at Macca ,P.210.

٤١- الحاج سالم ساس : الظاهرة الاستشراقية ، ص ٣٦١-٣٦٢.

42. Watt ,M.W. ,, Muhammad at macca , P211.

٤٣ - التفاصيل ينظر: محمد حسين علي الصغير (دكتور): المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م، ص٣٧، محمد، اسماعيل علي ، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص١٩٢، فؤاد عبه المنعم: من افتراءات المستشرقين ، ص١٦ .

٤٤- الجبري عبد المتعال : السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، ص ٧٧؛ حمدان نذير : الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين ، ص ٨١ .

٤٥- الصغير محمد حسين علي (دكتور) : تاريخ القرآن ، دار المؤرخ العربي ، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص ١١-٣٢، المستشرقون والدراسات القرآنية ، ص ٣٧-٥٩ .

٤٦- إبن هشام : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ١٢٤ فما بعدها ؛ إبن كثير : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٧٨ فما بعدها .

الشعراء) يفاجئنا بقسم أفرده ابن سلام بين طبقات الجاهليين وطبقات الاسلاميين ذكر فيه شعراء خمس (قرى) عربية هي : (المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين) فذكر من شعراء المدينة خمسة ومن شعراء مكة تسعة ومن شعراء الطائف خمسة ولم يذكر من شعراء اليمامة أحداً وذكر من شعراء البحرين ثلاثة[١] .

وقد يبدو قسم (شعراء القرى العربية) مقحماً على النسخة المخطوطة من كتاب ابن سلام ذلك أن مقدمة النسخة لاتتضمن أية إشارة إلى هذا القسم ، مع أن ابن سلام تحدث في مقدمته عن مادة كتابه فقال : (ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين فنزلناهم منازلهم) وقال : (فاقتصرنا في هذه على فحول الشعراء الاسلاميين للاستغناء عن فحول الجاهلية بطبقاتي المؤلفة في ذلك))[٢] .

والذي يدل عليه كلام ابن سلام هذا أن كتابه مقتصر على طبقات فحول الجاهليين والإسلاميين ، إذ لا ذكر لقسم شعراء القرى العربية ، فاذا ذهبنا الى أن مقدمة ابن سلام قد تكون أشارت إلى هذا القسم إشارة سقطت مع ما سقط من مخطوطة الكتاب فأن علينا أن نجد تفسيراً مقبولاً لخروج مادة شعراء القرى عن منهج التقسيم الرباعي في طبقات الجاهليين والإسلاميين ، ثم نجد تفسيراً مقبولاً لسقوط كلمة (طبقة) في الحديث عن شعراء كل قرية من القرى العربية الخمس.

ثمة اكثر من احتمال بشأن قسم شعراء القرى العربية فقد يكون هذا القسم كتاباً برأسه في الأصل جمعة ناسخ مع مادة الطبقات ، وقد يكون من أصل كتاب الطبقات لم يشر اليه ابن سلام في مقدمته ، ولا وجه للظن بانه من إضافة متاخرين لعلتين أولاهما أن من ورد ذكره فيه من الشعراء ممن لم يذكرهم ابن سلام في طبقاته ، والاخرى أن اسلوب الحديث عن الشعراء هو اسلوب ابن سلام من دون ادنى شك ، وايا كان الامر فإن قسم شعراء القرى العربية يمثل إشارة مبكرة الى تنبه الفكر النقدي العربي على اثر تباين البيئة في تباين الشعراء وإلا فما وجه عزل شعراء القرى عن شعراء البادية سواء كان ذلك في كتاب واحد أم في كتابين للناقد نفسه ؟ .

لقد تنبه بعض مؤرخي النقد الأدبي العربي على هذه الملاحظة ، وغلا بعضهم في تقدير مدى تنبه ابن سلام على أثر البيئة المكانية في الادب ، فافترض أن فصل شعراء القرى كان بسبب من كونهم شعراء (إقليميين) بينما كان شعراء الطبقات العشر شعراء العرب كافة[٣] وذلك افتراض